ترجمات:

مفهوم "التراث النحوي" وتداوله باللسانيات الفرنسية

فرانك نوفو، وبيتر لويرس[1]
ترجمة وتعليق: خالد اليعبودي

- **تقديم:**

نعالج بهذا المقال ثلاثة ظواهر متكاملة ل"التراث النحوي" باعتباره مفهوما ومصطلحا ومنظومة خطابية تستهدف الكشف عن الخصائص الموضوعية للغات.

يعاني "التراث النحوي" من الناحيتين المفهومية والمصطلحية من قصور تعريفي، مما يؤثر سلبا على نسب تواتر استثماره في خطاب علم اللغة وفي التداول الحجاجي المرتبط به. ما المراد تحديدا بلفظة "تراث"؟، هل نتوخى من استعمال مصطلح "التراث النحوي" الإشارة إلى علمية لخطاب عن اللغة تتسم بالقصور وبتضمنها للمثالب كما هو الحال دائما حين نتداول مصطلح "التراث اللساني"؟ وهو يعدّ التمييز بين مصطلحي "التراث النحوي" / "التراث اللساني" ملائما؟ ما المقصود ب"التراث" في المجال العلمي؟ أليس هناك تعارض بين "العلم" و"التراث"؟

نعاين أيضا أن مصطلح "التراث النحوي" - كمنظومة خطابية تختص بوظيفة تحليل الخصائص الموضوعية للغات - يعاني بدوره من قصور في تعريفه، فما هي المعايير (التاريخية والابستمولوجية) التي تسمح بالحفاظ على هذه المنظومة الخطابية متناسقة؟ كيف تتشكل هاته المنظومة؟ هل يمكن لتراث نحوي (فرنسي، انجليزي، ألماني، غربي إلخ) يمثل حقبة تاريخية وابستمولوجية أن يأتلف في مقولة نوعية (كتراث نحوي عام)؟

يتبين مما سبق أن الأمر يتعلق بالكشف عن الوظيفة المزدوجة ل"التراث النحوي"، إذ يستهدف تحديد واقع خطاب عن اللغة كما يصوغ في نفس الآن موقفا من هذا الواقع. سنحرص على تقييم تسمية "التراث النحوي" من زوايا مختلفة، غير أننا سنقتصر على اللغة الفرنسية في التمثيل لهذه الزوايا.

---

[1] - Franck Neveu (université de Caen, Crisco) & Peter Lauwers (FRS Flammand) université de Leuven, Compas ; La notion de « tradition grammaticale » et son usage en Linguistique Française, « Langages » 2007/3 ; n°167 ; ص ص: 7-26.

1- ما تعريف التراث؟

1-1- تراث "ما قبل الأنموذج" وتراث "ما بعد الأنموذج":

يذكّر الباحث "باتريك سيريو" (Patrick Sériot)(1999-2007) - بالاستناد إلى "حفريات المعرفة" ل"ميشال فوكو" (Michel Foucault) – بمزالق الاقتصار على مقاربة حدسية غير محدّدة عند استعمالنا ل"التراث" في العلوم الإنسانية، ويشير إلى ضرورة البحث عن جوهر هذا المفهوم قبل التسليم بالموضوع الظني الذي يحيل إليه، يقول في هذا الصدد:

"يبدو مستبعدا أن يتحدث أحد الباحثين عن "التراث" في مجال الفيزياء النووية أو في مجال علم الأحياء الجزيئي، فالواقع أن مفهوم "التراث" يرتبط عموما في المعاجم والموسوعات بالمذاهب العقدية، بالفلكلور، ولا يرتبط أبدا بمجالات العلوم [المادية]. إن هذه الفجوة تدعو إلى الاستغراب بمعاينتنا أمثلة لاستعمالات كلمة "تراث" في مجال "التأريخ للسانيات" عند الحديث عن "التراث اللساني" الصيني، العربي، الهندي، وأحيانا الغربيّ ذاته. ما هي الخصائص التي تدفعنا إلى التمييز بين اللسانيات وبقية العلوم إلى درجة التفكير في القضايا اللسانية بربطها ربطا وثيقا برصيدها الثقافي العريق؟ ما المراد ب"التراث" في اللسانيات؟ وما المقصود ب"التراث العلمي"؟ أليس الجمع بين المصطلحين قمّة المفارقة؟ [2]

إن تناقض اصطلاح "التراث العلمي" تناقض ظاهري، فالنشاط العلمي - كأي نشاط اجتماعي – يستوجب إنتاجا متجدّدا للمعايير والقيود التي تؤثر-حينما يتعلق الأمر بأنشطة عرفانية مندرجة في إطار الأنشطة العلمية- على قيمة الصدق في المعارف التي تشكل جزءا من النشاط العلمي، ذلك ما يقرره الباحث "سيلفان أورو" (Sylvain Auroux) في قوله:

« تعدّ العلوم نشاطات عرفانية اجتماعية، تتجدد عرفيا باستمرار، وتتضمن ضمن معايير مقبوليتها قيودا تتصل بقيمة الصدق بالمعارف المندرجة في إطارها كما ترتبط بوسائل إدراكها. لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار هاته المعايير ثوابت معرفية، إنما هي نتاجات

---

[2]- Sériot P (1999), La théorie des deux sciences dans la linguistique russe et soviètique, in : D. Cram ; A. Linn ; E. Nowak (éds) ; History of linguistics (1996) vol 1 : « Traditions on LinguisticsWorlwide », Selectedpapersfrom the 7 th International conference on the History of the Language Sciences (Oxford, 12-17 September 1996), Amsterdam ; Benjamins : p :301.

- Sériot , P ; (2007), A Quelle Tradition Appartient La tradition grammaticale Russe ?, « Langages » 2007/3 ; n°167, 69-53 :ص ص

تعاقبية، ونحن قادرون بفضل وضعها التعاقبي على التعبير بوضوح عن أي نشاط باستخدام لفظة "علم" ».[3]

ضمن هذا المنظور، ف"التراث" و"التطور" العلميين مرتبطان ارتباطا جدليا، يستعمل أحدهما محلّ الآخر بالتبادل، إذ يقدّم كل من الاسترجاع، والمعرفة المشتركة، وتجديد المعارف العامة وتراكمها -حسب دراسة أنجزها الباحث "ديل هايمز" (Dell Hymes) ترتبط بتاريخ الفكر اللساني (1974-1983)- مجموعة من الوسائط التوصيفية وبالأحرى مجموعة من الوسائط التعريفية ل"التراث". إن استعمال هذا المصطلح في المجال اللساني يمكن أن يكشف عن ميول لوسائط دون أخرى، كما هو الحال بشكل خاص في التأريخ للفكر النحوي، إذ يكشف معطى تراكم المعارف النحوية عن الحقيقة التاريخية التي تفيد ظهور علم اللغة قبل نشأة اللسانيات التي تنعت ب"الحديثة".[4]

من المرجّح أنا سنحصل على صياغة مثالية لإشكالية "التراث العلمي" بانطلاقنا من مفهوم "الأنموذج" (Paradigme) الذي صاغه "طوماس كون"-1962) (Thomas Kuhn) (1970-1977. يقوم تصور "كون" على إدانة كل توهّم بأن الإحياء يمكن أن يُسهم في التطور العلمي الذي يستند أساسا على فلاح تجربة ما (أو اكتشاف ما)، ولن يحتفظ تاريخ العلوم وفق هذا التمثيل التبسيطي للتطوّر سوى بالتحولات التي تسمح بالانتقال من الخطإ إلى الحقيقة. فخلافا للتصور القائل بأن التطور العلمي يتم من خلال التراكم (أي من دون عودة إلى المعارف القديمة) يصوغ "كون" فرضية تقوم على التطور التاريخي للعلوم عبر تتالي مراحل متناسقة:

"العلم السوي" ـــ "الأزمة" ـــ "الثورة"، فالتطور يحدث بفعل ارتجاجات واهتزازات.

---

[3] - Auroux S (1989) ; « Le langage et la science ; une visée historique », in : M,J, Reichler-Beguelin (dir), Perspectives méthodologiques et épistémologiques dans les sciences du langage », Berne, Peter Lang :.58-57 ص ص:

[4] - « تستوجب ضرورةُ وضع متن شامل للأنحاء وللتصورات اللسانية التقليدية الإقرارَ بوجود "تراث"، أي تراكم معارف يمكن مقارنة بعضها ببعض، مع الاحتياط من مغبّة خلط هاته المعارف بتراث العلوم الأخرى، كما أنه ن غير المجدي اعتبار مصنف ما أو نظرية ما أساس نشأة اللسانيات التي تنعت ب"الحديثة" »:

Colombat B (2004) ; Corpus des textes linguistiques fondamentaux, « Présentation du corpus des grammaires », « Pourquoi un corpus représentatif des grammaires et des traditions linguistiques ? », in : http://www.ens-lsh.fr/labo/ctlf/ Documents de référence, Lyon ; Ecole Normale supérieure, Lettres et Sciences humaines.

يُعدُّ "الأنموذج" - في تصور "كون" (1962) - المفهوم المفتاح ل"العلم السويّ"، أي: العلم الذي بلغ مستوى كبيرا من النضج[5]، وقد عاد هذا المفكّر (1970-1977) لدراسة هذا المفهوم، باقتراحه نواة مفهومية لما أطلق عليه: "مصفوفة التخصص المعرفي" (matrice disciplinaire)، أي: مجموع اليقينيات، التمثيلات، التصورات التي تؤمن بها زمرة من العلماء، إنها إشكالية ترد مرفوقة بالحلّ، وهي ذات قيمة أنموذجية (مثالية)، تقدّم جزءا من قاعدة نشاط علمي لاحق، دونما حاجة إلى العودة للمعطيات التي كوّنته.

يتبين من خلال النسق السابق أن "التراث العلمي" لاحق للأنموذج، لأنه يتشكّل انطلاقا من معرفة مشتركة ترتكز على معطيات الأنموذج كأساس عرفاني يُسهم بثباته في تطوير الأبحاث العلمية المستقبلية: تولّد المنوالات (Les modèles) -كما يقول "كون"- تراث الأبحاث العلمية. وبالتالي ف"التراث العلمي": مجموع خطابي يتسم بحركية المعارف بين زمرة من العلماء في حقبة محددة يغيب فيها الأنموذج.

غير أن صياغة النماذج - لاسيما تلك تمثل أساس التخصصات المعرفية- تستلزم مراحل تمهيدية تأخذ زمنا طويلا وتتسم بالتناسق، تعتبر في تاريخ العلوم كتجاور لمعطيات تبدو أحيانا متناثرة وغير مفسّرة بالشكل الكافي ما يحول دون اعتبارها نظريات أو بروتوكولات تجريبية. وليس لهذه المراحل التي تقود نحو "العلم السويّ" - إذا جاز لنا استخدام مصطلحية "كون" - من قيمة احتياطية تجاه المعارف سوى قيمة إسهامها في صياغة النماذج. وسواء تعلق الأمر بإعادة إحياء منجزات السلف، أو بمعرفة مشتركة، أو بإعادة صياغة لمعارف سابقة، أو بتراكم هاته المعارف، فكل ذلك يقوم بدور أساسي في

---

[5]- « لقد أسهمت الكثير من المصنفات -ك "الفيزياء" لأرسطو، و"المجسطي" ل"بطوليمي، و"المبادئ الرياضية" ل إسحاق نيوتن، و"الكهراء" ل فرانكلين، و "الكيمياء" ل لافوازيي، و"الجيولوجيا" ل ليل- في تحديد الإشكالات والمناهج الشرعية لمجالات معرفية، فقدمت بذلك خدمات هامة لأجيال متعاقبة من الباحثين، ولم تقم هاته المصنفات بهذا الدور الرئيسي لولا توفرها على خاصيتين أساسيتين: فمن جهة تعدّ إنجازات هامة جذبت الكثير من الأتباع في مجالات معرفية أخرى، ومن جهة ثانية: فتحت آفاقا واسعة للكثير من الباحثين للبحث في القضايا التي تثيرها. نسمي من الآن فصاعدا هذه الإنجازات التي تتوفر عليها هاته التصانيف ب"النماذج" (paradigmes)، إنه مصطلح وثيق الصلة بمصطلح "العلم السوي". ونقترح من خلال هذا المصطلح أن بعض الأبحاث العلمية الجادّة - التي تشمل القوانين، والنظريات، والتطبيقات والتدابير التجريبية - تقدّم منوالات عن تراث خاص ومتناسق في البحث العلمي [...] »

Kuhn T (1962), The structure of Scientificrevolutions, Chicago, University of chicagopress ; Trad : L. Meyer (1983) ; La structure des révolutions scientifiques, Paris, Flammarion, « Champs ».

مرحلة ما بعد الأنموذج. ما يتنوّع يكمن في طبيعة المعارف، وسبل صياغتها، وأدوار الفاعلين الذين يتداولونها. إننا هنا نضع ركائز "تراث قبل-علمي"، بمعنى "قبل-أنموذجي".

وسواء تعلق الأمر بطبيعة "قبل-أنموذجية" أو "بعد-أنموذجية"، "قبل-علمية" أو "علمية"، فإن ذلك لا ييسّر مهمة تعريف مفهوم "التراث".

1-2- "التراث النحوي": لسانيات مؤقتة تمتد زمنيا:

حين نتساءل: أين يتموضع "التراث النحوي" داخل المنوال الإبستمولوجي ل"كون"؟ يُطرح على التوّ إشكال قيمة مصطلح "تراث"، هل له قيمة حيادية (Neutre) أم ترتبط قيمته بعلم القيم (Axiologique) إذا جاز استثمار التمييز الذي استند إليه "سيريو" (1999) (Sériot)[6]. تتعدّد أبعاد مصطلح "تراث" في علوم اللغة، إذ تمّ استعماله بقيمة دلالية تفيد الإقصاء على المستوى الكرونولوجي وعلى المستويين المفهومي والمنهجي كذلك، إنه عامة بعد سلبي بحسب الحالة، إذ نستخلص من تراث النحاة الجدد، أو من تراث ما قبل المرحلة السوسيرية دعوة صريحة إلى قطيعة مع مضامين النتاجات العلمية السابقة، كما يُستعمل المصطلح ليفيد إقصاء تاما للأرشيف المرتبط بتشكّل المعارف اللغوية، ويفيد أيضا مجموعة من المعارف المتراكمة التي تفتقد للعقلانية أو المعارف التي تعاد صيالغتها من جديد من دون منزع نقدي.[7]

---

[6]- يُستعمل مصطلح "تراث" مفردا، أو في صيغة وصفية "تراثي" للدلالة على بعد قيمي في تقابل مع مفهوم "حداثة". كما يستعمل نفس المصطلح في مركب وصفي للدلالة بصفة حيادية غير قيمية على مذهب فلسفي (التراث الأفلاطوني، تراث الموسوعيين)، وعلى ما هو وجداني (التراث الرومانسي)، وعلى موقف من العالم (التراث الاقتصادي، التراث الذرّي)، وهو يفيد في هذا المنحى ما يرادف مصطلحات: نظرية، تعاليم، مدرسة، مذهب. يفيد مصطلح "تراث" في علم الإناسة الثقافية: الانتماء إلى مجموعة ثقافية (التراث المالينيزي)، كما يُرفق المصطلح بوقائع أخرى أقرب إلى ثقافتنا: "التراث الثقافي الغربي" أو بكل بساطة: "التراث الوطني". نجد البعد القيمي متضمنا بمصطلح "تراث" حين يُحيل إلى عقيدة، ذات حدود جلية لا تقبل التغيير. مثل "التراث المسيحي"، "التراث الإسلامي"، "التراث البوذي"، ويمتدّ منحى المسكوكية ليشمل كل مذهب فكري يعارض كل شكل من أشكال التطور، ك"التراث السلافي"، "التراث البيزنطي"، "التراث الألفي" [الذي يتواجد منذ أزيد من ألف سنة]، ونتحدث أيضا عن "التراث الكلاسيكي"، لكن هل تحمل عبارة "التراث الحديث" معنى محددا؟ إننا نلحظ بالبداهة أنه استعمال سقيم، بل يستحيل الجمع بين المقصدين "الحيادي" والقيمي" في تداول مصطلح "تراث". (Sériot 1999,)، نفس المرجع السابق، ص: 301.

[7]- « تجد الأنحاء الغربية أصولها في تراث يمتد آلاف السنين، يوناني بالأساس، فلاتيني، ثم عبري في فترة لاحقة، ثم عالمي، إنه تراث يتوارى غالبا وراء الستار كدماغ الزواحف [الذي يمثل مرحلة من مراحل تطور الدماغ لدى المخلوقات، مسؤول عن التحكّم في الوظائف الرئيسة بالجسم، كدقات القلب، والتنفس، وحرارة

فيما يتصل بمصطلح "التراث النحوي"، نجد مقاربة ثقافية تميز بين في التراث النحوي الغربي بين تراث فرنسي وآخر انجليزي، وآخر ألماني، وآخر روسي، إلخ (وهو تمييز بحاجة إلى استدلال على كفايته العلمية، مثلما هو الحال في المقالات المنشورة بمجلة "لغات" (Langages) عدد 167، 2007)، إنها مقاربة -على الرغم من افتراضها لقطيعة ثقافية- تحتفظ بقيمة إيجابية، غير أن هاته القيمة لا تظهر بشكل جليّ في المركّب الوصفي (: "التراث النحوي" في تقابل مع "التحليل اللساني")، ما عدا إذا استعملنا صيغة الجمع، حيث تتضمن هاته الصيغة ضمنيا القطيعة الثقافية المفترضة بشكل موضوعي على المستوى التاريخي، كما تبدو ملائمة على المستوى الإبستمولوجي (الميراثات النحوية[8]).

في هذا المنحى يبدو أن الاستعمال المتفرّد والمتلازم لاصطلاح "التراث النحوي" يندرج بوضوح ضمن تصور "ما قبل الأنموذج" و"ما قبل العلمي" للفظة "تراث". لكن كيف نفسر واقع استمرار المنظومة الخطابية التي ترتبط ب"التراث النحوي" في مرحلة ما بعد الأنموذج لعلم اللغة؟ أو على الأقل الاستمرار في استعمال عدد كبير من مفاهيمه ومصطلحاته الرئيسة؟

لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال ستصبح ممكنة إذا أمكننا وضع حاجز أو قفل على المستوى الآني في هذا المجال المعرفي بين مختلف الأنواع الخطابية عن طريق الفصل التامّ بين خطاب نحوي معاصر يمثل مرحلة ما قبل الأنموذج وخطاب نحوي معاصر يمثل مرحلة ما بعد الأنموذج. يكفي الاحتفاظ بهذه الاستمرارية حينما يتعلق الأمر بتحجير عرفاني يرتبط بعوامل مجتمعية (كعامل التعليم بالمدارس بشكل خاص)، استمرارية لا يتردّد الكثير من اللسانيين في اقتراحها بدراساتهم كما سيأتي فيما يلي، دون أن تتضمن دراساتهم استدلالات تسمح بقبول فكرة القطيعة بين المرحلتين، كما لم تقدم أية حلول لصالح الاتصال بين نوع خطاب وآخر من الخطابات المعاصرة، ليس لأن الكثير من المعطيات المفهومية للأنموذج أثبتت كفايتها بالعودة إلى الماضي في كل مستويات الخطابات الدارسة للغة (علما أن التصورات الجديدة تستثمر المصطلحيات التراثية وما تشير إليه من تمثيلات)، بل العكس، نتيجة فعالية الكثير من المقولات النحوية المرتبطة بمرحلة

الجسم، والتغذية والتوالد (المترجم)]. لكن قد يعود يوما إلى الظهور في ظروف محددة، وقد استفاد النحو الفرنسي منذ العصر الوسيط من ثقل التاريخ ومن نظريات الماضي.»

Chevalier (1999), Histoire de la grammaire française, Paris, PUF, Que sais-je ?, ص:3

[8]- نشير هنا إلى أن كلمة "تراث" لا جمع لها من جنسها، وهو ما دفعنا إلى استعمال كلمة "ميراث" نظرا لقابليتها صيغة الجمع. (المترجم)

ما قبل الأنموذج في علم اللغة المستوردة، بل الأحرى المعاد استثمارها في اللسانيات ونتيجة نجاعتها العملية.

وكما سبق للباحث "جون كلود ميلنر" (1989) (Jean-Claude Milner) أن أوضح، فإننا لا نحتفظ بتراث نحو لغة ما سوى إذا كان هذا التراث يصلح بشكل أو بآخر في وصف الخصائص الموضوعية للغة موضع الدرس، يقول في هذا الصدد:« ما دام هذا المشروع المجرّد (المتمثل في علم اللغة) لم يبلغ نهايته، فإن اللسانيات ملزمة بالاكتفاء باستعمال مفاهيم مؤقتة، وهي مقترضة -كأن الأمر وقع بشكل عرضي- من التراث النحوي، وهو واقع ينشد الدارسون تفاديه، غير أن المشروع المجرد لا زال بعيدا عن نهايته، بل ما فتئ في بداياته، ولم يقطع بعد مراحله الرئيسة. ولا مناص لنا من اللسانيات المؤقتة بمعنى التراث النحوي إذا أردنا أن نذهب بعيدا في البحث التجريبي، فلا نعرف كيف سنستغني عن مفاهيم مثل مفهوم الجملة، أو مفاهيم تركيبية يكثر استعمالها، مثل: الاستفهام، صيغة النصب، صيغة المجهول، صلة الموصول، الخ. وقد أعفينا أنفسنا من دراسة هاته المفاهيم دراسة مستوفية، والواقع أننا حكمنا على اللسانيات براديكالية نظرية أن تبقى رهينة لوقائع التراث النحوي، إلى درجة لم نقدّم أي حلّ لمعالجة العلاقة التي تجمع بينهما. وحينما نمضي قدما في تكملة مشروعنا المجرّد فإن النتائج المحصّل عليها لا تختلف كثيرا عما نجده بالتراث النحوي: فمفهوم "مونيم" لا يضيف إلا الشيء القليل للمفاهيم التراثية (الجذر، السابقة، اللاحقة)، ولا يضيف مفهوم "المركب" (Syntagme) إلا الشيء القليل إلى المفهوم التراثي: "مجموع كلمات" إلخ [..]. وإذا توخينا بجرّة قلم استبعاد التراث النحوي، فإننا نرفض معالجة القضايا التجريبية الكامنة وراء نجاحه"[9].

إن "التراث النحوي" عبارة عن لسانيات مؤقتة تمتدّ زمنيا، فهي في نفس الآن مؤقتة ومستمرّة، لأن علم اللغة باعتقاده أنه قادر على تطعيم أنموذجه بعدد من المفاهيم والمصطلحات موروثة من النحو التقليدي قد صاغ أسسه بالاستناد إلى "التراث النحوي" الذي أمدّه بمعطياته التجريبية.

لا شك أن الحجّة التي قدّمها الباحث "ميلنر" القائمة على فرضية "التجانس" (Homonymie) – والتي بمقتضاها يعتبر مصطلحات أقسام الكلم التراثية وتلك المستعملة في اللسانيات مندرجة ضمن "التجانس"، وبأن اللسانيات الحديثة تنحو نحو نزع قداستها باستخدامها في واقع لغوي تحيل إليه أو تفترض الإحالة عليه- حجّة تصف وضعا نتوق إليه بالفعل إلا أنه لا زال بعيد المنال، ذلك أن التجانس يستلزم تمايزا جذريا في دلالة المفاهيم،

---

[9]- Milner J-C (1989) ; Introduction à une science du langage, Paris, éditions du Seuil, 2 édition, abrégée 1995 ; 68 :ص.

وهو تمايز لا نعاينه بين مصطلحات التراث ومصطلحات اللسانيات الحديثة، ما نعاينه بالأحرى: عمل ينحو إلى التخصيص، والصورنة، وملاءمة بين المصطلحات والمفاهيم، وتكييف المفاهيم للوقائع التي تقوم بوصفها، وتضخيم حجم المعطيات التجريبية، إنه باختزال عمل تصفية واستقصاء يقوم بشرح معرفة لغوية تمتدّ آلاف السنين[10] دون أدنى قطيعة أو انفصال عن الماضي وذلك على الرغم من التطورات التكنولوجية الحديثة. بناء على ذلك يجوز لنا أن نعتبر أنّ تاريخ العلوم ملزم بالنظر مليا في حقيقة أنموذج (ال) علم اللساني [معرّفا] ومكوّناتهالذي تشكّل خلال القرن العشرين.[11]

---

[10]- إن التحليل التوزيعي وتطور النماذج التوليدية وإقحام المكون النصي (في النماذج الوظيفية بشكل خاص) وإدراج إشكالية المرجعية والانتقال من مقاربة مستترة إلى مقاربة الطراز البدائي للمقولة وظهور مقاربات متعددة العوامل والفصل بين ثنائيات مفهومية (ك: head/ functor/base- agent /thème) إلخ على الرغم من ترجمته لمظاهر تطور علم اللغة بالقرن العشرين فهو لا يمثل ثورة في الأنموذج اللساني بقدر ما يمثل صورنة وتصفية واستقصاء للمعرفة اللغوية.

انظر:

Lauwers P (2005 a), « La description syntaxique du français à travers le prisme des traditions grammaticales française et allemande », in : J, Cl, Beacco, J ;LChiss, F, Cicurell=, D, Veronique, Les cultures éducatives et linguistiques dans l'enseignement des langues, Paris, PUF : 47-67.

Lauwers P (2005b), « les stratégies d'analyse de phènomènes marginaux dans la grammaire française « traditionnelle » », Faits de langues, 25 : 75-78.

ويراجع بخصوص اعتبار اللسانيات مرحلة لما قبل العلم:

Lazard G (2006) ; « la quête des invariants interlangues, la linguistique est-ell une science ? », Paris, Champion.

[11]-يقول الباحث "برينـدونير" (Berrendonner) (1982) في هذا السياق:« من المرجح أن المخاصمة بين النحو واللسانيات ليست سوى خديعة، ذلك أن الخلاصة التي تفرض نفسها أن اللسانيات كوريث أمين لنصوص الأسلاف من النحاة تعدّ الضامن الأبرز لاستمرارية الخطاب المعياري حول اللغة، وهي تحرص على ضمان أدواره الأساسية".

Berrendonner (1982) ; L'éternel grammairien, Etude du discours normatif , Berne, Peter Lang.

ولنذكّر بالتعريف الذي قدّمه "جان- كلود ميلنر (Jean-Claude Milner) (1989): " تتوق اللسانيات إلى أن تصبح علما، وهي خارج هذا الأمل لا تتوفر على أي وضع يخول لها ذلك، بما أنها تلتبس بالتطبيقات القديمة التي تحظى برضى الكثير، وهي التطبيقات التي تحمل اسم "نحو" ».

3-1- "التراث النحوي" و "النحو التراثي":

نتساءل - بغاية غلق مؤقت لهذا التذكير بالقضايا التي يثيرها مفهوم "تراث" في تداوله بعلوم اللغة – عن الترابط الذي يمكن إجراؤه بين مصطلحي "تراث نحوي" و"نحو تراثي"، وهما مصطلحات يُتداولان بتواتر تناظري بالخطاب اللساني. نشير بدءا إلى أن مصطلح "تراث نحوي" ليس أكثر حظا في تعريفه من نظيره "نحو تراثي" بخطابات اللسانيين، فهما يفتقدان معا إلى الشفافية الدلالية وإلى الوضوح المرجعي. ولا يمكن الكشف عن مقاصد المصطلحين سوى بالاستعمال. إن التنوّع بين الإفراد والجمع دال هنا، لكن بمقصد آخر لأنه يقابل من جهة بين نوع من أنواع الخطاب النحوي (النحو التراثي) وأدوات متنوعة ومتباينة من جهة ثانية تقوم بدور تفعيل هذا الخطاب (الأنحاء التراثية)، وبالرغم من ذلك فالإيحاء السلبي معاين بالحالتين معا. فالنحو - خلافا للصناعة المعجمية (Lexicographie) التي تتوفر على مصطلح "المعاجمية" (Dictionnarique) - لا يحظى بتسمية تبرز الصلة الوثيقة بين مضمون الخطاب عن اللغة وصيغة الوعاء الذي يتضمن هذا الخطاب، ذلك ما يتجلى في التنوع الصوري للأنحاء، خلافا لبنية المعاجم الأكثر توحّدا، وذلك على الرغم من كون مصطلح "نحو تراثي" يحدد بالتباس نوع من أنواع الخطاب عن اللغة وموضوعاته الخاضعة لقيود خاصة بافتتاحيات المصنفات النحوية، ما يدفعنا إلى إدراك كيف يُعتبر "النحو التراثي" في غالب الأحيان مجموعة من المعارف ذات المستوى "المدرسي"، وبأنه عبارة عن منهج تربوي وتصنيف لمنظومات تتضمن معارف لغوية أحادية اللغة موجّهة بالأساس إلى الناطقين بتلك اللغة، وترتبط بمستوى ابتدائي في التكوين.

وقد عدّدَ الباحث "جاك ليرو" (1993) (Jacques Lerot) بعض مميزات هاته الأنحاء التي تصلح لكل شيء: ف"الأنحاء التراثية" عبارة عن تمثيلات خطية، واستشهادات عن استعمالات أدبية، ومعيارية، وغياب إطار نظري، وبروتوكولات تجريبية، وخطابات وصفية تفتقد للأبعاد التفسيرية، إلخ [12].

---

[12] -«تعتبرالأنحاء التراثية بشكل عام أنحاء صالحة لكل شيء، فهي تفيد في التحليل والتأويل والوصف والتلقين والاستعمال السليم للغة الخ، ينحصر ميدانها عامة في الاستعمال المكتوب للغة. وغالبا ما ترتبط الملاحظة باللغة الأدبية التي تحظى بأحكام قيمية، ويتصل هذا الاختيار بالمنظور المعياري الذي يميز غالبية الأنحاء. لا توظف الأنحاء التراثية أية نظرية، ولا تتضمن أي منوال لساني كمرجع، وغالبا ما تتناول مستويات وصفية متباينة دون أن تفصل بينها بشكل متمايز، فهي تحدد الظواهر وتصنفها بحسب مقولات متوارثة منذ القدم ةمكيّفة لتتلاءم مع اللغات الخاصة، وقلما يُفسَّر تقسيم الكلم الحدسي بتحليلات لروز مدى صحتها وشموليتها، فالكثير من الظواهر يتمّ وصفها في "النحو التراثي" دون اللجوء إلى تفسيرها»

Lerot (1993) , Précis de Linguistique générale, Paris, Editions de Minuit. ص:105

نتعامل على المستوى المادي مع مصنفات الغرض منها التصفح السريع والتطبيقي، وهي مصنفة بطريقة منظومية، حيث يسود تقطيع العناصر المكوّنة للمادة اللغوية (مثال: الخط/ الصرف /التركيب – الكلمة/ مجموع كلمات/ الجملة- إلخ) دون الربط التفسيري بين منوال وآخر، كما أن القواعد المدوّنة لا تحظى بتحليل نسقي أو بمنظور شمولي، وغالبا ما نلحظ غياب تعريف المفاهيم الأساسية (مثال: ما الكلمة؟ ما المقطع؟ ما الجملة؟ ما الوظيفة. الخ).

تعدّ هاته الخاصيات التي لخّصها "ليرو" معروفة، بحيث تطرق إليها الدارسون مرارا وتكرارا في أبحاثهم عن اللسانيات الفرنسية.[13] نشير مع ذلك إلى أن الخطاب الذي تندرج فيه هاته الأبحاث خطاب تقييم وقراءة نقدية لتوصيف لساني يعتبر ناقصا أكثر مما هو خطاب عن إبستمولوجيا تأريخية للموضوع المدروس.[14] فقد تمت دراسة "التراث" المندرج

---

[13]- لا سيما:

Sumpf J (1972), « les traits principaux de la tradition linguistique française », Langue française, 14. ص ص:70-98.

Leeman D (dir) (1979), « Sur la grammaire traditionnelle », Langue française, 41.

Leduc-Adine J P, Vergnaud J (dir) (1980), « La terminologie grammaticale », Langue française, 47.

Berrendonner, A (1982), L'éternel grammairien , Etude du discours normatif, Berne, Peter Lang.

Berrendonner, A Le Guern M, Puech G (1983), Principes de grammaire polylectale ; Lyon. Presses Universitairs de Lyon.

Berrendonner A, Reichler-Béguelin M j (1989), « Décalages : les niveaux de l'analyse linguistique », Langue française 81- ص ص: 99-124.

Le Goffic P (1993), Grammaire de la phrase française, paris, Hachette.

Flaux N (1993), La grammaire, Paris, Puf, « Que sais-je ».

Touratier C (1998 a), « Extraposition et structuration informative », Bulletin de la société de linguistique de Paris, T :XCIII, fasc 1, ص ص: 59-76.

Wilmet M (1997), Grammaire critique du français, Louvain-La-Neuve, Duculot-Hachette.

Charolles M, combettes B (1999), « Contribution pour une histoire récente de l'analyse du discours », Langue Française, 121, ص ص: 76-116.

Béguelin M-J &alli (2000), De la phrase aux énoncés : Grammaire scolaire et descriptions linguistiques, Bruxelles, De Boeck- Duculot.

[14]-نحيل في هذا الإطار إلى دراسات متنوعة الاتجاهات، منها:

Chervel, A (1973) « la grammaire traditionnelle et l'orthographe », Langue Française, 20, صص:86-96.

ضمن مفهوم "التراث النحوي" دراسة سوسيولوجية بدل أن يدرس دراسة تأريخية، بحيث لا يعدّ "التراث" عند هؤلاء الدارسين أرشيفا بقدر ما يُعتبر مقاربة لوقائع لغوية يُحكم عليهامنخلال ربطها بحاضر الدرس اللغوي الحديث بالقصور فتغدو مهجورة لا باعتبارها ظاهرة تاريخية وإنما بالنظر إلى معارف تظل غير محدّدة على المستوى الكرونولوجي، لا يتعلق الأمر إذن هنا بالحكم بقصور قواعد تنتمي إلى النحو التراثي بقدر ما يتعلق الأمر بخطاب تواضعي عن اللغة يُعتبر من هذه الزاوية مأزقا.

حينما نعتبر "النحو التراثي" كنحو مترسّخ في التاريخ بمناهجه ومفاهيمه، ناتج عن جمع معارف عهد سالف، فإن المفهوم يغدو موضوع تقييم حيادي وموضوعي في أدنى الحالات، ويمكن للمنهج النحوي المقتدى به أن يرتبط بمنهج أنحاء أثبتت مقولاتها مصداقيتها ونجاعتها العملية في مرحلة ما قبل أنموذج علم اللغة.[15]

Chervel, A (1977), Et il fallut apprendre à écrire à tous les petits Français : Histoire de la grammaire scolaire, Paris, Payot (2° édition)1982.

Chevalier J-C (1975) « situation de la Linguistique Française, Cinq ans de recherches et de production(1969-1974) », L'information littéraire, , 25-20 :صص

Chevalier J-C (1994), Histoire de la grammaire française, Paris- PUF, Que sais-je.

Stéfanni J (1994), Histoire de la grammaire, Paris CNRS éditions.

Auroux S(1994), Larévolution technologique de la grammatisation, introduction à l'histoire des sciences du langage, Liège, Mardaga.

Auroux S (1998) La raison, Le langage et les normes, Paris PUF.

Auroux s (dir.) (2000), Histoire des idées Linguistiques, T 3, L'hégémonie du comparatisme, Liège, Mardaga

Chiss J-L &Peuch C (dir.) (1998) ; La linguistique comme discipline en France, « Langue Française » 11

Petiot G (2000), Grammaire et Linguistique, Paris Armand Colin-SEDES.

Tomassone R (dir.) (2001), Une langue : Le français, Paris, Hachette

Colombat B, Savelli M (dir) (2001), Métalangage et Terminologie Linguistique, Leuven, Peeters.

[15] « النحو التراثي نحو (أو أنحاء) بصير (ة) بقضايا اللغة، يستند إلى مقاربات نظرية ومنهجية تعود إلى الحقب التي تشكّل فيها، تعكس مضامينه إلماما بمعارف وتحاليل قديمة ظلت تحظى بالتقدير إلى يومنا هذا. ما يميز النحو التراثي عن النحو "اللساني" المرتبط بالدراسات المعاصرة: هو الحفاظ على النماذج التحليلية التي غدت تعاليم، وتعتبر مقارباته مسكوكة، لأنها لا تقحم أي معطيات جديدة ولا وجهات نظر حديثة كما لا تعيد النظر في الحقائق –التعاليم. غير أنّ ما يميز بالأساس الوضع الحالي للنحو هو تراكم الآراء والقواعد والتحليلات التي لا مجال لاندثارها، فكل تصنيف نحوي يعدّ تصنيفا يقدم مقاربة عن اللغة كما يعدّ مستودعا لمقاربات أخرى

سنعتبر وفق هذا المنظور أن ما يميز أساسا "النحو التراثي" أنه يشكلّ مقاربة تراكمية لمعارف يتشكل منها ضمن رصيد من التصورات اللسانية، ليتأتى لنا التمييز منذ البدء بين "نحو تراثي" و"نحو لساني" من جهة وبين "نحو تراثي" و"نحو مدرسي"[16] من جهة ثانية.

نسجل مع ذلك أن الطابع المحافظ ل"النحو التراثي" التراكمي الناتج عن تكاثر المعلومات وتطورها لا يخلو من تناقض مع طابع المسكوكية التي تتميز به المعرفة المنتمية ل"التراث". فغالبا ما يُعتبر "التراث" في الخطاب اللساني حجة للتزكية أكثر من اعتباره مجموعة معطيات تاريخية تحظى بحدود دقيقة.

2-"التراث": زاوية البلاغة المعيارية في الخطاب اللساني:

على الرغم من أهمية بعض الأبحاث المعاصرة التي اهتمت بالبنى التلفظية للنصوص اللسانية (يراجع بالخصوص: "جروسمان" و "رينك" (2004) (Grossmann& Rink)[17]) فإن رأي الباحث "بريندونير" (1982) (Berrendonner) - القائل بأن الخطاب اللساني لم يحظ باهتمام اللسانيين لمدّة طويلة – لا يخلو من وجاهة، فمن الواضح أن الدراسة الصورية لهذا المجال الخطابي ولخطابات أخرى مستحدثة قادرة على تقديم معلومات ثمينة تخص تشكّل المفاهيم المقصودة من خلال الجهاز المصطلحي.

لا يمكن للخطاب اللساني الذي يدرس النصوص العلمية بما فيها النصوص العلمية الميسّرة المحيّنة أن يتخلّص من المعيارية، إنها معيارية تتجلى في التآليف ذات المنزع التربوي الموجهة إلى الجمهور العريض وهي معيارية تندرج في رأي "بريندونير" (1982) (Berrendonner) ضمن بلاغة التعريفات تستند لضمان نجاعتها على استراتيجية الاستلزام.

أصبحت متجاورة وثبت بطلانها، مثال ذلك: أقسام الكلم حيث نضيف "الأقسام التوزيعية" و"الأقسام التركيبية" بينما ينتمي هذان المفهومان إلى مقاربتين مختلفتين تم إقحامهما دون تفسير وظيفتهما". (Petiot, 2000, المرجع السابق، ص ص: 16-17).

[16]- « تهدف الأنحاء اللسانية إلى وصف اللغات بتنوعاتها المختلفة، أي: تحليل بنياتها (وتأليفاتها) بغرض استخلاص القواعد، أي المنوالات التي توضح الاستعمالات المحققة، وبالتالي يتبين أنها مقاربة معيارية. وتُعتبر اللغة المُستخلصة من الملفوظات المحققة موضوع الدرس النحوي [..] بينما يتمثل الهدف الرئيس من النحو "المدرسي" التعليم وتلقين الناشئة عددا كبيرا من وظائف اللغة، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بمسارات التربية والتكوين منذ انطلاق عملية التعليم الإجباري، ما يُفسر النزوع إلى تبسيط مبادئه، وتراجعه النسبي مقارنة بالأنحاء اللسانية". (نفس المرجع، ص ص:19-20، : Petiot, 2000)

[17] - Grossmann F & Rink F (2004), « LA surénonciation comme norme du genre : l'exemple de l'article de recherche et du dictionnaire en linguistique », « Langages », 156. صص: 34-50.

فغالبا ما تتضمن النصوص النحوية المعيارية بشتى تنوعاتها طابعا تأثيريا لأنها تحث المتلقي على استعمال ملفوظ بدل آخر (قل / ولا تقل)، غير أن هذا المنحى التأثيري لا يقتصر على تحديد الاستعمالات اللغوية، إنما يتعلق أيضا بالمستوى اللغوي الواصف (métalinguistique) كما يتجلى في دعوة الأنحاء الجامعية الجمهور المتلقي المتمثل في الطلبة والمدرّسين للالتزام باصطلاحات وتطبيقات محددة، ما يفسّر بلاغة هاته التصانيف في مستوى صياغة التعريفات والحدود، ويمكن أن نلحظ ذلك في محاولتنا تحليل التعريفات النحوية للفظة "تراث".

لنأخذ كمثال على طغيان هذه البلاغة في صياغة الحدود مفهوم "البدل" في متن يضم ستة وعشرين نصا يمتد لأربعة عقود زمنية ويمثل مشاريع لسانية متباينة.[18] تشخّص

---

[18]- تُرتب هاته النصوص ترتيبا زمنيا من 1 إلى 26 على النحو الآتي:

° 1- Grevisse (1936- 1980)

° 2- Wagner & Pinchon (1962-1991)

° 3- Chevalier & alii (1964)

° 4- Ministère de L'EN (1975)

° 5- Gary- Prieur (1985)

° 6- Arrivé & alii (1986)

° 7- Béchade (1986)

° 8- Soutet (1989)

° 9- Weinrich (1989)

° 10- Gardes- Tamine (1990)

° 11- Chiss & alii (1992)

° 12- Charaudeau (1992)

° 13- Le Goffic (1993)

° 14- Lerot (1993)

° 15- Denis & Sancier – Chateau (1994)

° 16- Le Querler (1994)

° 17- Maingueneau (1994)

° 18- Riegel & alii (1994)

° 19- Creissels (1995)

° 20- Wilmet (1997)

° 21- Combettes (1998)

° 22- Fournier (2002)

نصوص هذا المتن مصنفات تمثل تنوّع الخطاب النحوي للسانيات الفرنسية خير تمثيل، غير أنها لا تستوفي الموضوع حقه من التعريف سواء على المستوى المفهومي أو على المستوى الصوري، وتتباين مستويات التبسيط من مصنف إلى آخر بالنظر إلى الأهداف المتوخاة من كل تصنيف، ما يفسر تباينا في فهرسة مفهوم "البدل" بحسب تباين قيمة كل تعريف من مصنف إلى آخر (كما أن فهرسة المفهوم غير متوفرة ببعض المصنفات التي تمثل المتن المدروس). وقد احتفظنا ببعض الإشارات الدالة في هاته التعريفات، ووسمناها بوضع خط تحتها بهدف التيسير، تُفسَّر خصوصية التوسيم - في الدرجة الأولى- بتناقض أبعاد المفهوم، وبصعوبة تطبيقه واستعماله خارج إطاره النظري.[19]

- **النص 1:**

« عادة ما يتلو "البدل" (apposition) (أو ما يسميه النحاة عامة "بدل") الكلمة أو الكلمات التي يستكملها [...] غالبا ما يتصل "البدل" (أو ما يُنعت بدلا) بالاسم من خلال التجاور [..]. [..] يمكن أن ننظر إلى ما يعتبره "التراث" "بدلا" باعتباره مصطلحا منعزلا من خلال تركيب بدلي، غير أنه في الواقع تركيب تابع للكلام الذي يقوم بتخصيصه» (202).

- **النص 2:**

« يلزمنا التراث منذ أمد بعيد – على المستوى التطبيقي- باستعمال اصطلاحات لتسمية بعض الوظائف، فيما يلي بعضٌ مما احتفظنا به من مصطلحات تراثية واستعملناه في مصنفنا هذا» (24).

- **النص 3:**

«يمكن للنعت الواقع لاحقا أن يرد منعزلا من خلال علامة وقف، يوسم بفاصلة، ينتمي هذا التركيب للوظيفة التي تُسمّى رسميا "البدل"» (78)

- **النص 5:**

« تورد بعض الأنحاء وظائف أخرى، بالإشارة إلى أنها مغايرة عن بقية الأنحاء السابقة: فيما يخص نظرتها ل"البدل"، و"الفاصلة العليا" [(')]، فكما أشار كل من "فاجنر-

---

° 23- Ministère de L'EN (1998)

° 24- Béguelin & alii (2000)

° 25 – Eluerd (2002)

° 26- Muller (2002).

وهي مثبتة بالكامل في قائمة المصادر والمراجع.

[19]- يُراجع في هذا الإطار بشكل خاص: "نوفو" (2000) (Neuveu).

بينشون" (Wagner - Pinchon) (ص25) "لا يُحيل مصطلح "بدل" إلى وظيفة بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما إلى وضع خاص لتركيب ننعته ب"يأخذ وضعا مستقلا"»(99)

- النص 6:

«يشمل المصطلح التراثي "بدل" متوالية من استعمالات الاسم [..] [..] نعتبر أحيانا الصفة بدلا في تراكيب من صنف: "أحد الأذكياء"، "شخص وسيم"، الخ. [..] نتحدث أيضا عن الصفة البدلية في حال استقلال النعت عن بقية الجملة بعلامتي وقف: "هذا التلميذ، الخامل، طُرد من المدرسة» (69-70).

- النص 16:

« النعوت المستقلة [ملحوظة: تسمى هاته الوظيفة في المصطلحية التراثية: "بدلي"، "واقع موقع البدل"، "البدل"، وقد اخترنا تسمية "النعت المستقل" لأن وظيفة البدل مماثلة لوظيفة النعت، مع فارق وحيد: يستقل النعت عن الاسم - عوض أن يقترن به – بواسطة فاصلة، علامتي وقف، أو بكلمات أخرى]» (156).

- النص 18:

«ليس لتراكيب من الصنف الثالث [مثل: حاجز اللغة] أية صلة ب"البدل"، ومع ذلك فغالبا ما تمّ الخلط بينها وبين البدل (انظر التحليل التراثي لعبارة: "مدينة باريس") لسبب وحيد هو ترجمتها لصلة التماثل المرجعي بين الاسم ومفعوله (188)

مواقع النعوت المستقلة: يتعلق الأمر بمركبات اسمية تتبادل المواقع فيما بينها، تسمى في التراث: "البدل"، ويمكن قبول هذا الاصطلاح إذا اقتصرنا على معناه الصوري والتأثيلي، حين يدل مصطلح "بدل" على "موضوع بمحاذاة.."». (190-191).

- النص 20:

«إذا كان الإسناد الأول يتصل بالكلمة من دون رابط، فإن الإسناد الثاني يسند للموضوع وظيفة المبدل منه، وللمحمول وظيفة عطف البيان، وبهذا المنحى تتعالق في الأنحاء مصطلحات: "البدل"، " النعت المستقل"، "المسند للمفعول به"، "المناداة"» (516)

- النص 21:

« وَجب التمييز بين المفعولات المباشرة [وهي تراكيب مستقلة] التي وصفنا خاصياتها الأساسية وبعض التراكيب التي تُسمّى في التراث: "البدل" وتشمل مركبات اسمية تحمل محدّدا » (24).

يتضح من النصوص السابقة أن الخطاب المتعلق بمفهوم "البدل" خطاب منقول، إذ نلاحظ باقتصارنا على جزء محدود من العيّنات أن أصحاب هذه النصوص الميسّرة لا يستهدفون الإسهام في مناقشة دقائق هذا الموضوع بقدر ما يتوخون عرض الطابع

التقليدي للقيود المعيارية بالخطاب النحوي الذي يجد شرعيته في شيوعه وفي حشد عدد كبير من نصوص النحاة، غير أن شيوع هذه النصوص وما تحمله من مضامين لا تؤثر في الدراسات التي قدمها أصحاب نصوص المتن الذي عرضناه أعلاه، ومنهم باحثون يُعتبرون من أهل الدراية في هذا المجال، كما يتجلى من الجهاز الاصطلاحي الذين استخدموه في تناول هذا الموضوع.[20]

إن المشترك بين مختلف هاته النصوص التي تحيل إلى "التراث" هو عدم تحديد المصدر التلفظي والتاريخي للمعرفة النحوية المتحدّث عنها، وهو أيضا تشفير الحدود المعيارية، إن الإحالة على المصدر تتخذ شكلا مضمرا في عرض المفهوم للإشارة إلى المسافات القائمة بين مضمونه بالتراث ولدى الكاتب بالاستناد إلى نعوت معجمية تحمل أحكاما قيمية سلبية في الكثير من الأحيان: ("البدل" كما يدّعي النحاة، الوظيفة التي تُسمى رسميا "البدل"، "النعوت المستقلة"، "المسند إلى المفعول به"، "المنادى" كما هي في الأنحاء، إلخ)، وبالاستناد إلى ظروف زمنية وصفات لا تخلو من لبس: "عموما"، "عادة"، "تراث عريق"، إلخ)، واللجوء كذلك إلى عبارات تلفظية تحيل إلى سلطة "التراث"، (من قبيل: "ما يسميه النحاة"، "ما يُعتبر في التراث"، "بعض النحاة"، "نتحدث عادة عن"، "تُسمى هاته الوظيفة"، "في المصطلحية التراثية"، "تُسمى في التراث"، الخ)، تتضمن كل هاته العبارات إشارة ضمنية بعدم ملاءمة المنوال التفسيري الموروث، مع أنها تثبت بشكل غير مباشر استعمال مصطلح "البدل" بإدراجه ضمن فهرس المصطلحية النحوية، وبذلك يتأكد أن "التراث النحوي" تعرّض للنقد من لدن الدارسين كما حظي في نفس الآن بتقديرهم.[21]

من المؤكد إذن أن المتلقي لا يمكنه إدراك الغايات المنهجية والاصطلاحية للخطاب النحوي الشديد التعقيد بالاقتصار على هاته الإشارات المختزلة[22] في نصوص المتن المدروس (من 1 إلى 21)، إن فهم هاته الغايات وحده يمكن أن يُسهم في فهم مختلف الجوانب والملابسات المرتبطة بإشكالية "البدل". تعدّ عملية التأريخ شرط مقروئية مفاهيم التراث النحوي التي قل استعمالها بمرور السنين. وإذا كان إحياء المصطلحية النحوية غير

---

[20]- يمكن أن نعتبر "المبادئ العامة" (endoxales) (التي تنسج على منوال المصطلح الأرسطي "endoxa") : أفكار النحاة التي تحيل إلى سلطة لغوية (أو إلى مادة: برينـدونير (1982) (Berrendonner))، إنها سلطة تشكل الأساس التلفظي للمعرفة يوظفها النحوي مفترضا وجودها في الواقع ويبحث عن المعايير التي تقنّنها.

[21]- يقول الباحث "برينـدونير" (1982) (101-102) في هذا الإطار: "من المرجّح أن يكون خطاب النحو المدرسي تكملة ضرورية للخطاب اللساني الأساسي لكي يصبو إلى نتائج معيارية دون أن يلزم نفسه بتطبيقها، (...) فللساني شرف الموضوعية والشفافية ولمصنف النحو المدرسي استهجان المعايير التي تتولد عن عمل اللساني".

[22]- يراجع: نوفو (1996) (1998) (2000).

قادر لوحده على ضمان النجاعة العملية لمفاهيم النحو التراثي؛ فإن تغييب المنظور التاريخي سيظل عائقا إبستمولوجيا كبيرا بما أن هذا التغييب يُسهم في استغلاق المصطلحات بما تحيل إليه من تسميات.

يتخذ "التراث" في الخطاب اللساني غطاء معياريا يحول دون الكشف معرفة يُنظر إليها نظرة إقصاء بسبب اعتبارها تمثل وضعا سلبيا ما قبل – أنموذجي.

3- "التراث النحوي" من البعد "التأريخي" إلى "الإبستمولوجي":

إذا انتقلنا من مستوى المفهوم أو المصطلح، لننظر بشكل أعمّ في مجموع الدراسات التي تعرض الخصائص الموضوعية للغات، فإن "التراث النحوي" سيبدو في آن واحد:

1- كأرشيف بالمعنى التأريخي، أي كمجموعة من النصوص المنتَجة والمجموعة التي تستهدف هذا الهدف [عرض الخصائص الموضوعية للغات]، والقادرة على إمداد المؤسسات التربوية بمتن يمثل أنحاء الفرنسية خير تمثيل،

2- وكخطاب علمي أيضا، بمعنى كمجموعة تحليلات مكرّرة، ترسّخت عبر التاريخ، مع تغيّرات ممكنة في فرضياتها ومسلماتها وأحيانا في مصطلحاتها.

سنبحث فيما يلي عن بعض الخصائص الموضوعية للتراث النحوي الفرنسي، ونقصد ب"الفرنسي": الأبحاث المنجزة عن اللغة الفرنسية (في مختلف البقاع) والأبحاث النحوية المنجزة بفرنسا. سيشمل البحث متنا يمثل خمسة وعشرين دراسة أنجِزت بالنصف الأول من القرن العشرين ("لويرس" (Lauwers(2004a)، وهي فترة شهدت نشأة "النحو اللساني"، أنتِجَ معظمه خارج فرنسا، إن أهمية هذا البحث لا تقتصر على سدّ الفراغ الذي عاينّاه بمفهوم "التراث النحوي"(3-1)، إنما سيسمح لنا بالتمهيد لتقييم المقاربة الثقافية بالمقابلة بين تقاليد التراثين النحوي الفرنسي والألماني(3-2)، وسنركز في آن على البعدين التأريخي والإبستمولوجي مع العناية بمقاربة سياقية للموضوع (3-3).

3-1- "التراث النحوي":

يرتكز الإنتاج النحوي المكتوب خلال النصف الأول من القرن العشرين على قاعدة من المعارف العامة، استثمرت بعض المفاهيم المستخلصة من النحو (المدرسي) بالقرن التاسع عشر والحقب التي سبقت هذا التاريخ.

نلاحظ على مستوى التمفصل العام لتحليل الجملة ومقولاتها الوصفية التي يوظفها أن التراث النحوي الفرنسي –والتراث النحوي الأوروبي عامة- يتميز بطابعه الثنائي الاتجاه، إذ ينحو إلى التوفيق بين مقاربة تصاعدية (تخص: تركيب الكلمات) ومقاربة تنازلية

(تخص: تركيب الجملة). ونعاين بذلك نزعة تتسم بثنائية التحليل (تحليل نحوي وتحليل منطقي) وهي نزعة أرّخ مواصفاتها بالتفصيل الباحث "أندري شيرفيل" (1977) (André Chervel).

يتم وصف الوظائف التركيبية في المقاربة التصاعدية انطلاقا من أقسام الكلم التي تكوّن تفريعات وظيفية تهدف إلى إثبات ملاءمة هذا التمييز بين المقولات (يرد الاسم فاعلا، يرد الاسم مفعولا، يرد الاسم بدلا، ترد الصفة نعتا، إلخ.)، نعاين آثار هذه المقاربة في الأنحاء التي تُختزل أبوابها في تصريف لأقسام الكلم وفي تركيب هذه الأقسام، كما نعاينها بالدراسة الانتقائية للمجموعات الوظيفية (ففي جملة: "ستُسقط الشجرة الكبيرة"، فالفاعل هو "شجرة" [أو بالأحرى اسم حلّ محل الفاعل (المترجم)] وليس "الشجرة الكبيرة").

تتناول المقاربة التنازلية الوظائف التركيبية بالاستناد إلى تقطيع دلالي- منطقي للعبارة، ما أفرز تقسيما ثنائيا منطقيا للجملة بالقرن التاسع عشر، ثم غدا في وقت لاحق تحديدا لكتلٍ دلالية (كالفاعل، المفعول، مفعول الظرفية، إلخ)، علما أن تعريفها مسألة دلالية محضة.

يُشار في هذا الصدد إلى أن محاولة التوفيق التي تُعاين هنا وهناك – كإدراج مفهوم "مجموع كلمات"، والاعتماد على أقسام وظيفية متقاطعة (ك: الصفات والظروف، إلخ)- تميزت بافتقارها إلى الاطراد، في غياب منوالات "لسانية" جاهزة، وحدها البنيوية السويسرية عكست صدى هذا التوفيق من خلال مفهوم "النقل" (Transposition) (يراجع: Lauwers 2004 a).

لقد حافظت كل الأنحاء على نواة سباعية فيما يتصل بأقسام الكلم (الاسم، الفعل، الظرف، حرف الجر، حرف العطف، الصفة، الضمير). وقد تمت تكملة هاته النواة باقتراح أقسام أخرى، وهي أقل ثباتا (نخص بالذكر: صيغة التعجب، أداة التعريف، والوحدات الدالة على العدد).

نشير بخصوص المنهج الوصفي للأنحاء بأنّ أسسها التفسيرية تظل مضمرة، فغالبا ما أغفل النحاة الإحالة إلى مصادر دراساتهم نتيجة التزامهم بالمنحى المدرسي (الذي ساد بالقرن التاسع عشر) وبالنظر إلى غاياتهم التطبيقية، فهم لا يناقشون آراء بقية النحاة، وإن فعلوا فإشاراتهم تظل شديدة العمومية أو مجهولة، فليس من عادة النحاة القيام بالصورنة والعرض المفصّل وإجراء الحدود، بحيث تناهز نسبة المصطلحات المعرّفة في كتاباتهم 60 في المائة، غير أنها تتباين بشكل جليّ من نحو إلى آخر. [23]

---

[23]- لا يجد النحوي الألماني "بلاتنير" (1899-1908) (Plattner) - الذي يتوافق مع مقولات نحو اللغة الألمانية- أدنى حرج في إغفال زاوية التعريف بمصطلحات أنموذجه النحوي.

نجد بهذه الأنحاء تضمينات تمثل إرهاصات أولية لدراسات تركيبية لاحقة (Lauwers 2004 a)، تنحو بشكل واضح نحو دلالية (sémantisation) تتجلى في إطناب دلالي غير قابل للهيكلة الصورية.

يتميز التراث النحوي لا سيما الفرنسي، باللجوء إلى صور مجازية، (فهناك: الحشو، والكلمة الزائدة، والحذف، والقلب بمعناه العام، والالتفات)، وهي صور ظلت مستعملة بأنحاء المتون، وإن بشكل متناثر لا يخضع لترتيب.ويبدو أن التراث النحوي (الفرنسي) استعان كثيرا بالأسلوبية التي شكلت ملجأ له.

وتتواجد بالتراث النحوي الفرنسي إضافة إلى هاته الثوابت عناصر أخرى متنوعة لا تخلو من تجديد (Lauwers 2004 a, 680-683)، وهي لا تنتمي إلى نواة ما يمكن تسميته ب"التراث النحوي".

3-2- "التراث النحوي الفرنسي":

نستشف أيضا من المنحى الثنائي الاتجاه (المتضارب) الذي يميز التراث النحوي جوهر التراث النحوي "الفرنسي" (أو الفرنكوفوني) في تقابل مع التراث الألماني (أو الجرماني) (Lauwers 2005 a). يبدو بشكل عام أن تأثير التحليل التنازلي (الدلالي - المنطقي) في التراث النحوي الألماني أقوى من تأثيره في التراث النحوي الفرنسي الذي يتميز بنزعته التصاعدية (أو المقولية)، يتجلى ذلك في تقطيع الوظائف الثانوية وفي المجموعة الفعلية. فالوظائف الثانوية بالأنحاء الفرنسية [داخل فرنسا وخارجها] تحمل طابع أقسام الكلم التي ترتبط بها ارتباطا وثيقا: يرد "المفعول" اسما، يرد "النعت" صفة، يرد "البدل" اسما. خلافا لذلك تندرج الوظائف الثانوية في التراث النحوي الألماني في إطار منطق تنازلي وتقابل وحدات دلالية - وظيفية (خبر/ بدل/ (إسنادية) Bestimmung). وفي نفس الاتجاه يفصل النحاة الألمان بين المفهوم المنطقي - الوظيفي ل"المحمول"، وهو وحدة تتنوع صيغها (فتأخذ صيغة فعل متصرف) و"الفعل" (Zeitwort): أي الفعل كقسم من أقسام الكلم، بينما يكتفي الفرنسيون باستعمال اصطلاح واحد: "الفعل".

إذا أخذنا بعين الاعتبار الأنحاء الفرنسية المنشورة بألمانيا – والتي أمدّت النحو الألماني بالكثير من أعراف التحليل- فإن قائمة الاختلافات بين التراثين النحويين الفرنسي والألماني تزداد امتدادا، لذلك نسجل شبه غياب للصور المجازية في التراث الألماني، غياب مصطلح يقابل "حروف الجر" (إلى جانب الجملة: Satz)، الوضع الضمائري للمحدّدات[24]، إدراج مبعثر للمنظور الإخباري (الموضوع/ الخبر، بنزعة نفسانية).

---

[24]- نجد هذا التحليل واردا أيضا ب"التراث النحوي الفرنسي".

ومن اللازم البحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الاختلافات في الظروف التاريخية بدل أن نردّ هذا الاختلاف إلى طبيعة اللغات التي تشكل متن الوصف النحوي. نسجل في هذا المنحى التباين العميق في الأنساق النظرية التي صاغها الآباء المؤسسون للنحو (تُراجع أعمال: "بيكر" (Becker) في مقابل "نويل" و"شابسل" (Noel &Chapsal))، كما نشير إلى المكانة التي احتلتها الدراسة النظرية للجملة في اللغة الألمانية[25] خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في إطار الاتجاه النفساني ("كرافيي" (2001) (Graffi)).

وبما أنّ الخصائص الجوهرية للغات الموصوفة تبدو قليلة فإن مقاربة ثقافية وتأريخية للميراثات النحوية تبدو مبررة (إلى حدّ ما) شريطة أن لا تنغلق في نطاق وطني، ولا ريب أن مفهوم "الفضاء اللساني" (الفرنكفوني والجرماني) سيقدم تقطيعا أكثر مصداقية يتظافر بعدئذ مع خصوصية كل لغة وطنية (وقد تمّ تكشيفها بقرارات رسمية)، ونشير على سبيل التمثيل إلى أن غالبية مميزات التراث النحوي الألماني توجد أيضا بالتراث النحوي الهولندي.

3-3- وضع التراث في سياقه:

إذا كان التحليل التاريخي ل"التراث النحوي" يتضمن عناصر تثبت أحكاما إحيائية تغيّب البعد الزمني، فإنه من المفيد الحرص على النظر ل "التراث" من خلال السياق، فمن الممكن أن تتضمن مضامين الوصف التراثي إطارا وصفيا وبعض العوامل المؤسساتية.

نشير بداية إلى أن الإطار الوصفي الغالب على خطاب التراث النحوي غالبا ما يرد في صيغة تصنيف مجمل، انتقائي، بأبعاد تطبيقية، وبالتالي فهو يعطي الأولوية لما هو جوهري في وصف اللغة، يُنظر إلى هذا الإطار الوصفي الخالي من كل طموح نظري بروح معيارية، وتسود هذه الروح المعيارية بفرنسا أكثر مما هو الحال بأنحاء لغات أخرى، ما جعل الباحثين يسجلون تقهقرا فرنسيا في مجال إصدار مجلات متخصصة مرتبطة بهذا المجال (Huot 1993 ; Chevalier 1998, Lauwers 2004 a).

وإذا نظرنا إلى مصنفي أنحاء النصف الأول من القرن العشرين، سنجد من بينهم عدد كبيرا من أساتذة التعليم الابتدائي ومن الأفراد المستقلين (ك: "داموريت" (Damourette) و"بيشون" (Pichon)) ومن الأساتذة الجامعيين: ثلثهم مختصون في الأدب، والبقية منهم مختصون في فيلولوجيا العصر الوسيط والبلاغة واللهجاتية، أي أن النحو - باعتباره وصفا نسقيا للفرنسية المعاصرة - لم يكن يشكل لهم أولوية في مساراتهم

---

[25]- نحيل في هذا الإطار إلى عمل الباحث "جون ريز" (John Ries) (Was ist Syntax ?)، وهو أول من دشّن عملية التجديد في التركيب (يُراجع: "لويرس" 2004 b) (Lauwers).

العلمية، ويلاحظ أيضا خفوت البعد الأكاديمي في الدرس النحوي في ميدان تحضير رسائل الدكتوراه، مما يكشف عن الإهمال الذي لحق هذا المجال المعرفي. كما أن غالبية المصنفين يظلون أسرى نظام وصفي يكتفي بإعادة صياغة المعرفة النحوية ذات البعد التربوي، فلا ينشرون سوى القليل من المقالات في الموضوع، وإن نشروا شيئا في هذا المجال فالغالب أن تكون منشوراتهم عبارة عن مقالات إخبارية أو تحليلات أدبية وهي على الرغم من أهميتها لا تضع حدودا فاصلة بين التخصصات المعرفية، من هنا نستوعب الأثر الذي خلفه "التراث" على آفاق الإحياء[26]، وبالتالي على النسب الضئيلة للجهود الرامية إلى إعادة كتابة هذا التخصص المعرفي.

تتأكد من هذا العرض المجمل إمكانية الحديث عن "التراث النحوي" كمنظومة خطابية تتميز بإعادة صياغة بعض المعايير التي تشكل أساسا مشتركا، وذلك على الرغم من غياب مراجع أساسية لمصفوفة هذا التخصص المعرفي. ويبقى من المفيد معرفة مدى مصداقية هاته المعايير، وهل من الواجب اعتبار الفضاء الفرنسي - أو بشكل عام الفضاء الفرنكوفوني- كهمزة وصل لمنظومة خطابية تتوفر على بعض الخصائص التي تندرج ضمن منظومة أشمل (كما هو الحال في التراث الغربي) يشكل معها قاعدة عامة.

- خاتمة:

لقد كشفنا من خلال البحث في موضوع "التراث النحوي" أن الخطاب اللساني – في مجمله- في نقده المستمر لمفهوم "تراث" بغاية التأكيد على طابع العلمية ببعض التحليلات النحوية الجادّة لا يقرّ لهذا المفهوم بوضعه كوحدة مصطلحية، لعدم وجود تعريف ثابت ومتفق عليه، ولذلك فهو لا يعتبر التراث أنموذجا تفسيريا لبنيات اللغة، ومن هذا المنظور، فإن الاستعمال الحجاجي والقيمي لهذه التسمية الملتبسة - التي تحيل إلى موضوع غير محدد بما فيه الكفاية – دال على نمط من أنماط الخطاب حول اللغات والكلام، يستند بشكل أكبر مما نتصور إلى التحديد المعياري. ومما يؤكد هشاشة مفهوم "التراث" ما نلاحظ من صعوبة تعايش علم اللغة معه في نفس الإطار التحليلي وفي نفس الخطاب الهادف إلى وصف الخصائص الموضوعية للغات بالاستناد إلى البُعدين التأريخي والإبستمولوجي للتراث النحوي. بينما يستعيد هذا المفهوم بعده العلمي إذا تناولناه بالدراسة من الزاويتين التأريخية والإبستمولوجية، وهو بُعد علمي مهدّد بالزوال في أية مناسبة، وقد أكدنا في هذا البحث أهمية تخصيص دراسات للتراث النحوي، لأنه حقل بحاجة إلى الاستكشاف، في

---

[26]- نلاحظ في هذا الصدد أن الباحثين يفضلون الإحالة إلى جهود السلف من نحاة القرون الماضية بدل مدارسة مقترحات اللسانيين المعاصرين.

موضوعات متعددة، منها: المقارنة في بعديها التأريخي والإبستمولوجي، الكشف عن دقة آراء النحاة القدامى وإبراز جوانب التطور في الميراثات النحوية بكل لغة من اللغات الأوروبية[27]، البحث عن ملامح التأثير والتأثر المتبادلين[28] بين مختلف هاته الأنحاء، إبراز الروابط القوية بين تقاليد التراث وخصوصيات اللغات المدروسة، رصد مظاهر تأثير التراث على اللسانيات العامة[29]، وأخيرا: سبل التوافق التي يمكن أن تحصل بين مصنفي هاته الأنحاء لا سيما في دراستهم للغة أجنبية، وتمسّكهم بتراثين متمايزين.

قائمة المصادر والمراجع:

° Arrivé, M & Gadet, F & Galmiche, M (1986) ; « La grammaire d'aujourd'hui – Guide alphabétique de Linguistique française », Paris, Flammarion.

° Auroux, S (1989) ; « Le Langage et la science : une visée historique », in : M,J, Reichler-Béguelin (dir), Perspectives méthodologiques et épistémologiques dans les sciences du langage, Berne, Peter Lang : 51-68.

° Auroux, S (1994) ; « La révolution technologique de la grammatisation – introduction à l'histoire des Sciences du langage », Liège, Mardaga.

° Auroux, S (1998) ; « la raison, le langage et les normes », Paris, PUF.

° Auroux, S (dir.) (2000) ; « Histoire des idées Linguistiques », T 3, « L'hégémonie du comparatisme », Liège. Mardaga.

° Béchade H-D (1986) ; « Syntaxe du français moderne et contemporain » Paris, PUF.

° Béguelin M-J & alli (2000) ; « De la phrase aux énoncés : Grammaire scolaire et descriptions linguistiques », Bruxelles, De Boeck/ Duculot.

° Berrendonner, A (1982) ; « L'éternel grammairien, Etude du discours normatif », Berne. Peter Lang.

° Berrendonner, A & Le guern M & Puech, G (1983) ; « Principes de grammaire polylectale », Lyon, Presses universitaires de Lyon.

° Berrendonner, A & Reichler-Béguelin M-J (1989) ; « Décalages : Les niveaux de l'analyse linguistique », Langue française, n° 81- pp :99-124.

---

[27]- ويمكن أن ندرج بهذا المحور: دراسة مقارنة تأريخية للجهود المؤسساتية في الجانب اللغوي بكل دولة من هاته الدول.

[28]- وقد تطلب الأمر بعض الوقت لكي تنحو اللجنة البريطانية المكلفة بإصلاح النحو المدرسي نحو التراث الفرنسي بتبنيها لمصطلحي "النعت" (Epithet) و"المسند" (Attribute). كما كان الحال عليه سنة 1910 العهد الذي تميز بإصلاح الكشافات الاصطلاحية للمنظومات النحوية.

[29]- وهي أكثر استقلالية مقارنة بالمجالات الأخرى السائدة بالفضاءات الثقافية.

° Charaudeau, P (1992), « Grammaire du sens et de l'expression » ; Paris, Hachette.

° Charle, Chr (1994), « Paris/Berlin, Essai de comparaison des professeurs de deux universités centrales », in : Chr, Charle éd, Les universités germaniques, XIX e –XX e siècles, INRP, Service d'histoire de l'éducation, pp :75-109.

° Charolles, M & Combettes, B (1999) ; « Contribution pour une histoire récente de l'analyse du discours », Langue française, n° 121, pp : 76-116.

° Chervel, A (1973), « La grammaire traditionnelle et l'orthographe », Langue française, 20, pp : 86-96.

° Chervel, A (1977) ; « Et il fallut apprendre à écrire à tous les petits français : Histoire de la grammaire scolaire », Paris, Payot, 2° éd 1982.

° Chevalier , J-C (1975) ; « Situation de la linguistique française, Cinq ans de recherches et de production, 1969-1974 », in : L'information Littéraire, n°1, pp : 20-25.

° Chevalier , J-C (1994) ; « Histoire de la grammaire française, Paris, PUF, « Que sais-je ? ».

° Chevalier, J-C & Blanche – Benveniste, C & Arrivé, M & Peytard, J (1964) ; « Grammaire larousse du Français contemporain », Paris, Larousse.

° Chevalier, J-C (1998) ; « Place des revues dans la Constitution d'une Discipline : la linguistique française (1945-1997) », in : Langue française, n° 117, pp : 68-81.

° Chiss, J-L & Filliolet, J & Maingueneau, D (1992) ; « Linguistique française – Communication, syntaxe, poétique », Paris, Hachette.

° Chiss, J-L & Peuch, C (1998), « La Linguistique comme discipline en France », in : Langue française, n° 117.

° Chiss J-L & Peuch, C (1999), « Le Langage et ses disciplines- XIX e -XX e siècles, Paris- Bruxelles, De Boeck- Duculot.

° Colombat, B (2004) ; « Corpus des textes Linguistiques fondamentaux, Présentation du corpus des grammaires », « Pourquoi un corpus représentatif des grammaires et des traditions linguistiques ? », http://www.ens-lsh.fr/labo/ctlf/ « Documents de références », Lyon, Ecole Normale Supérieure « lettres et sciences humaines ».

° Colombat, B & Lazcano, E (dir) (1998-2000), « Corpus représentatif des grammaires et des traditions Linguistiques », Paris, Société d'histoire et d »épistémologie des sciences du langage (SHESL), Histoire épistémologie langage, Hors- série n°2 (1998) et n°3 (2000).

° Colombat, B & Savelli, M (dir) (2001) ; « Métalangage et terminologie linguistique », Leuven, Peeters.

° Combettes, B (1998), « Les constructions détachées en français », Paris-Gap, Ophrys.

° Creissels, D (1995) ; « Eléments de syntaxe générale », Paris, Puf.

° Denis, D & Sancier- Château, A (1994) ; « Grammaire du français », Paris, Hachette, Livre de poche.

° Eluerd, R (2002) ; « Grammaire descriptive de la langue française », Paris, Nathan.

° Flaux, N (1993) ; « La grammaire », Paris, PUF, « Que sais-je ? ».

° Fournier N (1998) ; « Grammaire du français classique », Paris, Belin.

° Gardes-Tamine, J (1990) ; « La grammaire », 2/ Syntaxe, Paris, Armand Colin.

° Gary-Prieur, M-N (1985) ; « De la grammaire à la linguistique- l'étude de la phrase », Armand colin, Paris.

° Graffi, G (2001) ; « 200 years of Syntax, A critical Survey », Amsterdam, Benjamins.

° Grevisse, M (1980) (11e éd) ; « Le bon usage – Grammaire française avec des remarques sur la langue française d'aujourd'hui », Paris-Gembloux, Duculot (1e édition 1936).

° Grossmann, F & Rink, F (2004) ; « La surénonciation comme du genre : L'exemple de l'article de recherche et du dictionnaire en linguistique », in : Langages, n° 156 ; pp : 34-50.

° Huot, H (1993), « Le français moderne, 1933-1993, Bilan et analyse d'un demi-siècle d'activités », in : Les études de linguistique en Europe, Actes du colloque international de Cluny 9-10 septembre 1993, Autour du français moderne, Conseil international de la langue française, pp :17-32.

° Hymes, D (éd) (1974) ; « Studies in the history of linguistics, Traditions and paradigms », Bloomington-London, Indiana University Press.

° Hymes, D (1983) ; « Essays in the History of Linguistic Anthropology », Amsterdam, Benjamins.

° Kuhn, T (1962) ; The structure of Scientific Revolution », Chicago, university of chicago press ; trad, fr de L, Meyer, « la structure des révolutions scientifiques », Paris, Flammarion, Champs, 1983.

° Kuhn, T (1970) ; « Postface-1969 », in seconde édition augmentée de Kuhn (1962).

° Kuhn, T (1977) ; « The Essential Tension » Chicago, the chicago University press ; Trad fr de : M, Biezunsky, P, Jacob, A, Lyotard-May et G, Voyat, « La tension essentielle », Paris, Gallimard, 1990.

° Lauwers , P (2002 a)<2003> ; « La notion de 'Test syntaxique' dans les grammaires de la première moitié du XXe siècle », Lingvisticae Investigationes, 25/1 ; pp : 49-70.

° Lauwers, P (2002b) ; « Forces centripète et centrifuge, Autour du complément circonstanciel dans la grammaire 'traditionnelle' de la première moitié du XXe siècle », Travaux de Linguistique ; n° 44, pp : 117-145.

° Lauwers, P (2004a) ; « La description du français entre la tradition grammaticale et la modernité linguistique , Etude historiographique et épistémologique de la grammaire française entre 1907 et 1984 », Leuven, Paris, Dudley, Peeters.

° Lauwers, P (2004 b) ; « John Ries et la wortguppenlehre, Une tradition allemande de renouveau syntaxique », Beitrage Zur Geschichte der sprachwissenschaft , n°14, 2, pp :203-250.

° Lauwers, P (2005 a) ; « La description syntaxique du français à travers le prisme des traditions grammaticales française et allemande », in : J-Cl, Beacco & J-L Chiss & F, Cicurel & D, Véronique, « les cultures éducatives et linguistiques dans l'enseignement des langues, Paris, PUF, pp : 47-67.

° Lauwers, P (2005 b) ; « les stratégies d'analyse de phénomènes marginaux dans la grammaire française 'Traditionnelle' », Faits de langues, n° 25, pp : 75-78.

° Lazard G (2006), « La quête des invariants interlangues, La linguistique est-elle une science ? », Paris, Champion.

° Le Goffic, P (1993) ; « Grammaire de la phrase française », Paris, Hachette.

° Le Querler, N (1994) ; « Précis de syntaxe française », Caen, Presses universitaires de Caen.

° Leduc-Adine, J-P & Vergnaud , j (dir) (1980) ; « La terminologie grammaticale », Langue française, n°47.

° Leeman, D (Dir) (1979) ; « Sur la grammaire traditionnelle », in : Langue française, n° 41.

° Lerot, J (1993) ; « Précis de Linguistique générale », Paris, Editions de Minuit.

° Maingueneau, D (1994) ; « Syntaxe du français », Paris, Hachette.

° Milner J-C (1989) ; « Introduction à une science du langage », Paris, Editions du Seuil, 2° édition, abrégée, 1995.

° Ministère de L'éducation (1975), « Nomenclature grammaticale pour l'enseignement du français dans le second degré », INDP, Brochure 6082, Paris.

° Ministère de l'éduction nationale de la recherche et de la technologie (1998) ; Terminologie grammaticale, Paris, CNDP.

° Muller C (2002), « Les bases de la syntaxe, Syntaxe contrastive français-langues voisines, Bordeaux, Presses universitaires de Bordeaux.

° Neuveu, F (1996) ; « La notion d' 'apposition' en linguistique française : perspective historique », Le français moderne, 1, T I XIV, p p : 1-27.

° Neuveu, F (1998) ; « Etudes sur L'apposition », Paris, Honoré Champion.

° Neuveu, F (dir.) (2000) ; « Nouvelles recherches sur l'apposition », Langue française, 125.

° Neuveu, F (2001), « Des marges de la phrase aux marges de la grammaire- sur la grammatisation de 'l'annexe syntaxique ' en français », in : J, Demarty-Warzée & j, Rousseau (éd), « Faire une grammaire/ faire la grammaire », Paris, Les cahiers du CIEP : 66-73.

° Pitiot, G (2000), « Grammaire et Linguistique », Paris, Armand Colin-SEDES.

° Plattner, P (1899-1908) ; « Ausfuhrliche Grammatik der Franzosischen Sprache ». Eine Darstellung der modernen franzosischen sprachgebrauchs mit Berucksichtigunf der volkssprache, Karlsruhe, Bielefeld.

° Report (an.) (1923) 8e éd ; « On the terminology of grammar, Being the report of the joint committee on grammatical Terminology, London, J, Murray (1e 1911).

° Riegel , M & Pellat, J-C & Rioul, R (1994), « Grammaire méthodique du français », Paris, PUF.

° Sériot P (1989), « Peut-on dire d'une linguistique qu'elle est « nationale » ? », in : M-j, Rrichler-Béguelin (éd), « Perspectives méthodologiques et épistémologiques dans les sciences du langage », Berne, Peter Lang, pp : 15-40.

° Sériot , P (1999) ; « La théorie des deux sciences dans la linguistique russe et soviétique », in : D, Cram & A, Linn & E, Nowak (éds), « History of Linguistics » (1996), Vol : 1, « Traditions on linguistics Worlwide », Selected papers from the 7th International Conference on the History of the Language Sciences (Oxford, 12-17 september 1996), Amsterdam, Benjamins, pp : 301-312.

° Soutet, O (1989) ; « La théorie des deux sciences dans la linguistique russe et soviétique », in : D, Cram & A, Linn & E, Nowak (éds), « History of linguistics (1996), Vol 1 : « Traditions on Linguistics Worlwide », Selected papers from the 7th international Conference on the History of the language Sciences (Oxford, 12-17 September 1996), Amsterdam, Benjamins, pp : 301-312.

° Soutet, O (1989), « La syntaxe du français », Paris, PUF, « Que sais-je ? ».

° Stéfanni, J (1994) ; « Histoire de la grammaire », Paris, CNRS éditions.

° Sumpf, J (1972), « Les traits principaux de la tradition linguistique française », Langue française, 14, pp :70-98.

° Tomassone, R (dir) (2001), « Une langue : Le français », Paris, Hachette.

° Touratier C (1998 a), « Extraposition et structuration informative », Bulletin de la société de Linguistique de Paris, T , XCIII, fasc, 1, pp : 59-76.

° Touratier C (1989b) ; « Les grammaires universitaires françaises de ces dix dernieres années », Le français moderne, t , LXVI, 1, pp : 73-102.

° Wagner, R-L & Pinchon j (1962), « Grammaire du français classique et moderne », Paris, Hachette.

° Weinrich, H (1989), « Grammaire textuelle du français », Paris, Didier/ Hatier, « Alliance française », Traduit par G, Dalgalian et D, Malbert.

° Wilmet, M (1997) ; « Grammaire critique du français », Louvain-la-Neuve, Duculot- Hachette.